



التناسق القرآني في قصيدة "الثناء للأخ الراحل..." للقاضي آدم عثمان  
The Qur'anic Intertextuality in the Poem "Elegy for the Departed  
Brother...by Judge Adam Othman

محمد عثمان علي

\*Muhammad Othman Ali<sup>1</sup>

الدكتور ناصر بلا

Dr. Nasir Bala<sup>2</sup>

<sup>1</sup>Department of Arabic Literature, Faculty of Arabic and Islamic Studies, Usmanu Danfodiyo University, Sokoto, Nigeria

<sup>2</sup>Madrasatu Safir Lawal Sambo Al-Ibtidaiyyah Kofar kuna-Zaria

DOI: 10.5281/zenodo.14052214

Submission Date: 02 Oct. 2024 | Published Date: 07 Nov. 2024

\*Corresponding author: [Muhammad Othman Ali](#)

Department of Arabic Literature, Faculty of Arabic and Islamic Studies, Usmanu Danfodiyo University, Sokoto, Nigeria.

### الملخص

يهدف هذا البحث بعنوان: التناسق القرآني في قصيدة "الثناء لأخ الراحل..." للقاضي آدم عثمان" إلى إبراز ما في قصائد الشاعر القاضي آدم عثمان من الأساليب الإبداعية، وخاصة التناسق، وسوف يركز البحث على تعامل الشاعر مع النص القرآني في القصيدة. وسيتم تحليل القصيدة المختارة، واستخراج قيمها الفنية عن طريق الدراسة الأسلوبية. والشاعر هو آدم عثمان بن محمد بؤسي (Bose) منتسب إلى أسرة فلانية، من قرية دُكو (Dukku)، من أنصار الشيخ عثمان بن فودي (ت 1817م)، وكان له رحلات علمية، ونشاطات اقتصادية وسياسية واجتماعية، وكل ذلك ساعد على تكوين ثقافته الأدبية. وقد استخدم الشاعر ألواناً فنية في قصيدة المختارة مثل ظواهر تناسقية. أدركت الدراسة بأن النص المدرس موشح بأنماط إبداعية لاسيما التناسق. ويوصي البحث الدارسين بأن يهتموا بظواهر الدراسة الفنية؛ بما فيها من إظهار أساليب الأديب، وبرأته الأدبية واللغوية.

### المقدمة:

عني الشعراء بالفن من حيث الإبداع والابتكار منذ القدم في استخدام ألوان مختلفة في انتباخ آذان السامعين، كما عني الرسام باستخدام الألوان الجذابة بأعين الناظرين. واللون في الشعر غير منحصر لا يمكن تحديده؛ إذ أن الأدب ذوق ولكل ذوقه. وسوف يركز هذا البحث على إبداع الشاعر وابتكاراته في التعامل مع نصوص قرآنية فقط؛ دون غيرها، حيث

يتعايش معها في ثوب جديد. والشاعر هو القاضي آدم عثمان بن محمد بُوسِي (Bose) منتسب إلى أسرة فلانية، من قرية دُكُو (Dukku)، من أنصار الشيخ عثمان بن فودي (ت 1817م)، وكان له رحلات علمية، وحركات اقتصادية وسياسية واجتماعية، وكل ذلك ساعد على تكوين ثقافته الأدبية. ومما دفع الباحثين إلى اختيار هذا الموضوع ما جاء من النص المختار من الألوان الفنية والصور البلاغية، وكونها تتعايش مع الأحداث العالمية في حل المشاكل الاجتماعية على المستويات المحلية والوطنية والدولية. وبعد المقدمة، سيناقش البحث ما يلي:

مفهوم التناص.

نبذة تاريخية عن حياة الشاعر.

نموذج من الدراسة والتحليل للتناص القرآني في القصيدة.

الخاتمة.

### مفهوم التناص:

ظهر مصطلح التناص في الدراسات النقدية العربية الحديثة في القرن ...، وقد استفاده النقاد العرب من النقاد الغربيين عن طريق الترجمة، اعتباراً بأن النص الأدبي ليس نظاماً لغوياً مقفلاً ومستقلاً عن البيئة المحيطة، وإنما هو وسيلة من الارتدادات والانعكاسات لمعان ودلالات متعددة، وهذا لا يعني أن مفهوم التناص لم يكن موجوداً في التراث الأدب العربي القديم<sup>(i)</sup>. ففي العصور الأدبية القديمة ظهرت هذه الظاهرة التناصية لكن ليست بهذه التسمية، وقد أطلق عليها الأدباء العرب بالسرقة الشعرية، والتضمين، وأحياناً بالاعتباس وما إلى ذلك.

ومفهوم النص كما أورده إبراهيم، وآخرون هو: "صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف"<sup>(ii)</sup>، ويقال: "بلغ الشيء نصه وبلغنا من الأمر نصه، أي شدته"<sup>(iii)</sup>.

ويفهم من التعريف السابق بأن النص له معان كثيرة منها: الازدحام ورفع الشيء، والسير الشديد، ومنتهى بلوغ العقل. فالتناص لغة: كما أورده ابن منظور: "الاتصال"، يقال: "هذه الفلاة تناص أرض كذا وتواصيها أي تتصل بها"<sup>(iv)</sup>. ويفيد معنى الانقباض والازدحام كما أورده الزبيدي: "انتص الرجل انقبض وتناص القوم ازدحموا"<sup>(v)</sup>. وأما معناه الفني فإنه يعد من الموضوعات الحديثة في الكتابات النقدية العربية، فهو وسيلة لإثراء النص بفتحته على نصوص أخرى، ولأنه نوع من الربط، فقد عرفه عبد الله الغدامي بأنه: "نص يتسرب إلى داخل نص آخر، يسجد المدلولات سواء وعى الكاتب بذلك أم لم يع"<sup>(vi)</sup>.

ويرى ريفائيز أن التناص عبارة عن: "إدراك القارئ للعلاقات الموجودة بين عمل وأعمال أخرى سبقته أوجاءت تالية عليه"<sup>(vii)</sup>. وأما محمد مفتاح، فإنه يعرف التناص بأنه "تعالق مع نصوص حدث بكيفيات مختلفة"<sup>(viii)</sup>. فالتناص إذا عملية إبداعية عن طريق استفادة المبدع بنصوص غيره سواء قصد بذلك أم لم يقصد. وإن مصطلح التناص في النقد العربي الحديث

هو ترجمة للمصطلح الفرنسي (Intertextualite) حيث تعني كلمة (Inter) في الفرنسية: التبادل، بينما تعني كلمة (Textualite): النص، وأصلها مشتقة من الفعل اللاتيني (Texttere)، وفي الإنجليزية: (Intertextuality) وبذلك يصبح معناه: التبادل النصي، وقد ترجم إلى العربية: بالتناسل الذي يعني تعالق النصوص بعضها ببعض (ix).

وكان للتناسل أنواع، وأشكال (x)، وصور (xi)، وقوانين (xii)، ومن أهم أنواعه:

1- التناسل الأدبي: وهو عبارة عن تداخل النصوص الأدبية القديمة مع نصوص أدبية حديثة، أو المعاصرة سواء كانت هذه النصوص لكاتب واحد أو لمبدعين آخرين (xiii).

2- التناسل الديني: هو تداخل النصوص مع نصوص دينية معينة عن طريق الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم، أو من الحديث النبوي الشريف، أو من الكتب السماوية المختلفة، وغير ذلك من الشعائر والقيم الدينية (xiv).

3- التناسل التاريخي: يتمثل هذا النوع من التناسل في تداخل نصوص تاريخية منتقاة من النص الأصلي مؤدية غرضاً فنياً أو فكرياً أو كليهما معا (xv).

4- التناسل الشعبي: وهو نوع من التناسل الذي يستوظفه الشاعر أو الكاتب عن طريق الحكم والأمثال، والأساطير المتداولة في المجتمع، أو الأغاني الشعبية من خلال تسجيل القيم الإنسانية (xvi).

#### نبذة تاريخية عن حياة الشاعر:

هو آدم عثمان بن محمد بُؤسي (Bose) وينتسب هذا الشاعر إلى أسرة فلانية، ويرجع أصلها إلى قرية دُكو (Dukku)، وهي أسرة ذات علم ودين، من أنصار الشيخ عثمان بن فودي (ت 1817م)، وكان جده الثاني يتصف بصفات الكمال، كالورع والإخلاص والإصلاح، وساعدته هذه الخصال المحمودة إلى أن عين قاضياً في مدينة بَرِّي (Barne) (xvii). واسم والده عثمان بن محمد بُؤسي (Bose)، وكان عالماً مشهوراً بورعه، تقصده طلاب العلم من شتى الأماكن طلباً للعلم وخاصة العلوم الإسلامية والعربية. ثم هاجر إلى قرية بُولَ جَنْغَرَاو (BulaJangirawo)، وهي ريف من أرياف المجاورة بمدينة عُمِّي (Gombe)، هاجر إلى القرية المذكورة خوفاً أن يوليه الأمير منصب القضاء. وهذا مما يشير إلى ورعه وزهده، وبعد فترة زمنية انتقل أبوه مع عائلته إلى قرية أخرى المسمى ب: بُولَ بَرْدِي (BulaBarde) وظل هناك للتدريس والتفسير إلى أن وافته المنية سنة 1982م (xviii).

وأما بالنسبة لولادته، فإنه ولد بتاريخ 1957/5/17م، في قرية بُولَ جَنْغَرَاو (BulaJangirawo) بعد أن هاجر أبوه إليها، وبعد ولادته بثلاثة أشهر (xix). نشأ القاضي آدم عثمان في أسرة معروفة بعلمها وورعها وغير ذلك من القيم المحمودة، ويرجع ذلك إلى تمسكهم بالدين الإسلامي والمحافظة على تعاليمه. وترعرع على كنف والده عثمان وتلقى منه مبادئ العلوم الدينية واللغوية، والصوفية (xx).

ومما ساعد على تكوين ثقافة الشاعر الأدبية رحلاته العلمية، وحركاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وقراءته المكثفة وذكائه المفرط، والموهبة التي وهبه الله إياها. وكان له إنتاجات أدبية في مختلف الأغراض واللغات، وخاصة في المناسبات، وكان يقرضها غالباً في الحوادث العالمية، والمناسبات الداخلية والخارجية.

### نموذج من الدراسة والتحليل للتناص القرآني في القصيدة

يعتبر النصوص القرآنية، وقصصه من حيث الألفاظ والمعاني، مصدراً للمضامين الشعرية قديماً وحديثاً، فقد تناص القاضي آدم عثمان نصوصاً قرآنية وكان متأثراً بكتاب الله والأحاديث الشريفة، ويرجع ذلك إلى مداومته، وتداوله معهما منذ طفولته، إضافة على ذلك البيئة التي نشأ بها، وهي بيئة مثقفة بالثقافة الإسلامية<sup>(xxi)</sup>، وكل ذلك ساعد على قدرة الشاعر ومدى براعته وتضلعه، ومهارته في استدعاء النصوص الإسلامية، وتبين الظواهر التناصية القرآنية التي استخدمها فيما يلي:

يامبدئ الخلق من جنّ وإنسان \*\* باق على ملكه إذ كنا فنان

يدبر الأمر يغني كل كائنة \*\* سيان فيه بعيد الدار والدان

هوا المحيط بكل العلم يعلم ما \*\* قد تنقص الأرض من أسرار أبدان

كاتب الرزق والآجال من أزل \*\* لا خلف فيها ولا ينسى لأزمان

امتص الشاعر القاضي آدم عثمان المفردات القرآنية من حيث اللفظ والمعنى، إذ استهل بنداء الخالق الذي هو مبدئ الخلاق ويتجلى ذلك امتصاص الشاعر مع الآية الكريمة في قوله تعالى: **إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ**<sup>(xxii)</sup>، وكان الشاعر يقرض هذه القصيدة على غرار رثاء، ولذلك أحسن في استنصاح الكلمات القرآنية لفظاً ومعناً، فاستخدم عاطفته الدينية، وبدأً تذكيراً بنفسه وغيره سوف يأتي الفناء لكل من الخلاق، حيث التمس مصطلح من المصطلحات القرآنية، الذي يناسب موضوع حديثه، وامتص مع قوله تعالى: **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۖ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾**<sup>(xxiii)</sup>. ولكن الشاعر قدم البقاء وأخر الفناء على خلاف نسق الآية الكريم.

يتناص الشاعر في صدر البيت الثاني مع قوله تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾**<sup>(xxiv)</sup>.

ومابرح الشاعر يستفاد مع تناصيات القرآنية إلى أن قال:

وكاتب الرزق والآجال من أزل \* لا خلف فيها ولا ينسى لأزمان

والله سبحانه وتعالى هو الذي قسم الرزق لعباده ووضع لكل من خلأقه الآجال بدون زيادة ولا نقصان، فيظهر ذلك امتصاص الشاعر مع قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾<sup>(xxv)</sup>. وقال الإمام القرطبي: أي أجل موتهم ومنتهى أعمارهم<sup>(xxvi)</sup>. وهذا النوع من التناص هو ما يسمى بـ "الامتصاص" (التناص غير مباشر). ثم استمر الشاعر على حد قوله:

صبراً جميلاً لعهد عند خالقنا \* يجزي الصبور بكل العسر يسران  
يعطي ويأخذ حكماً من مشيئته \* كفى بها عبرة في قلب يقظان  
إنا شهدنا بما في علمنا وكفى \* بشهادة من قضى تال بقرآن  
إنا سألنا قري الهادي ومسكنه \* في جنة الخلد أو جنات عدن

اجتر الشاعر في هذا المقطع نصوصاً قرآنية، والبيت الأول مجتر من قوله تعالى حكاية عن قول يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾<sup>(xxvii)</sup>. وهنا تناص الشاعر تناصاً مباشراً (الاجترار) لفظاً ومعناً بدون تلميح، فالآية الكريمة استخدمت في موضع من المواضع الذي يجب حذف المبتدأ، لكون خبره مصدراً نائباً عن فعله، وتقدير الكلام، صبري صبر جميل<sup>(xxviii)</sup>، وأما الشاعر أتى به على صيغة الإغراء إذ يلزم نفسه الصبر الجميل بما حل له من فقد محبوبه المرحوم حيث استعمل لام التعليل احتساباً من الله، ولكنه أتى به منصوباً على المصدر النائب عن فعله، ويظهر نتيجة صبر يعقوب عليه السلام، والشاعر هنا التقرب إلى الله واللجوء إليه.

يظهر في عجز البيت الأول اجترار الشاعر مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾<sup>(xxix)</sup>. والشاعر هنا يتفاعل بأن الله سيتم له أجره مرتين جزاء مصيبة الموت، والصبر عليها.

وفي صدر البيت الثاني يمتص الشاعر مع قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(xxx)</sup>.

ولم يزل الشاعر يستخدم المصطلحات القرآنية، إذ يدعو الله بأن يسكن مرثيه جنات عدن وخلده، ويتجلى تناصه مع قوله تعالى: ﴿جَزَاءُ وَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾<sup>(xxxi)</sup>. ويظهر هنا تفاعل الشاعر على مفقوده بأن يدخله الله فسيح جنته، وأن يوصله بالرفيق الأعلى.

#### الخاتمة:

اهتم هذا البحث بدراسة ظاهرة التناص القرآني في النص المختار (الرثاء للأخ الراحل..). للقاضي آدم عثمان، ومحاولاً في تحليل تلك الظواهر التناصية عن طريق الدراسة الأسلوبية. وتضمن المقدمة وبعدها تناول مفهوم التناص، ثم تطرق إلى ذكر نبذة تاريخية عن حياة الشاعر، ثم الدراسة التطبيقية عن التناص القرآني في القصيدة. وأدرك البحث بأن النص المدروس موشح

بألوان التناس، وخاصة القرآنية؛ كما ظهر في القصيدة. وتبين للباحثين عن طريق هذه الدراسة مدى الملكة الإبداعية التي يتمتع بها الشاعر، وفنية تجربته الشعرية في استدعاء النصوص القرآنية. وفي الختام يوصي البحث الدارسين بأن يهتموا بظواهر الدراسة الفنية؛ بما فيها من إظهار أساليب الأديب، وبراعته الأدبية واللغوية. والله ولي التوفيق.

#### الهوامش:

- i - بهار، حسن علي، (2014م)، 'التناس الديني عند أبي العتاهية'، رسالة الماجستير غير المنشورة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، ص: خ
- ii - إبراهيم، وآخرون، (ب.ت)، 'المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، مادة تناس، ص: 772
- iii - المرجع السابق
- iv - ميد غو، محمد الحاج، (2011م)، 'التناس في شعر الأديب غنيمي البرناوي'، جامعة عثمان بن فودي، قسم اللغة العربية، ص: 7
- v - المرجع نفسه، ص: 7
- vi - شازاد، وآخرون، (ب.ت)، 'التناس القرآني في شعر غادة السمان'، جامعة رابرين/ فاكليتي التربية الأساسية، قسم اللغة العربية، بدون معلومات النشر، ص: 1
- vii - الفقة، قاسم حسن، (ب.ت)، 'التناس بين الانتماء الغربي والأصل العربي'، جامعة الزاوية-ليبيا، ص: 3
- viii - أحمد، نظيف شيخ، (2016م)، 'التناس في شعر الأمين أحمد حمزة: دراسة وتحليل'، رسالة الماجستير غير المنشورة، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو- نيجيريا، ص: 26
- ix - شازاد، وآخرون، (ب.ت)، المرجع السابق، ص: 2
- x - عبد الملك، أحمد جعفر، (2011م/1433هـ)، أشكال التناس القرآني في "تحفة الرجاء" للشيخ شئت بن عبد الرؤوف، مجلة حَرَشِي، قسم اللغات النيجيرية والأفريقية، جامعة أحمد بلو، زاريا-نيجيريا، 5: 200-201
- xi - أحمد، 2016، المرجع السابق
- xii - عبد الملك، أحمد جعفر، المرجع السابق، ص: 200-201
- xiii - بوجمة، سارة، (2014م/1435هـ)، 'جمالية التناس في شعر "محمد جربوعة"'، رسالة الماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر- بسكرة، ص: 45
- xiv - المرجع نفسه، ص: 59
- xv - المرجع نفسه، ص: 64
- xvi - الزعي، أحمد، (2000م/1420هـ)، 'التناس نظريا وتطبيقيا'، الطبعة الثانية، مؤسسة عمون، الأردن، ص: 63\* بوجمة، سارة، (2014م/1435هـ)، ص: 63
- xvii - المنصور، عثمان محمد، (2008م)، المحامي آدم عثمان: 'شاعريته وقصائده في مناهضات ضد الإسلام'، رسالة الماجستير المخطوطة، قسم دراسات الأديان، جامعة جُوس، ص: 22
- xviii - أبوبكر، كبير أمين، (2010م)، 'فن المديح في شعر المحامي آدم عثمان': دراسة نقدية، رسالة الماجستير غير المنشورة، قسم اللغة العربية جامعة أحمد بلو، زاريا-نيجيريا، ص: 21

- xix – الثالث، يعقوب محمد، (1998م)، ظاهرة جديدة في الشعر العربي النيجيري: عرض ودراسة لشعر السيد آدم عثمان، رسالة الماجستير المخطوطة، قسم اللغة العربية، جامعة بايُرو، كُنُو، ص: 3
- xx – محمد، صفي عبد القادر، (2012م)، صور من الخصائص الأدبية في شعر المناسبات لدى الشاعر المحامي آدم عثمان، رسالة الدكتوراه غير المنشورة، قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو-نيجيريا
- xxi – محمد صفي، المرجع السابق، ص: 56-57
- xxii – سورة يونس، الآية 4
- xxiii – سورة الرحمن، الآية 26-27
- xxiv – سورة يونس، الآية 3
- xxv – سورة النحل، الآية 71
- xxvi – القرطبي، (2007م) على جهاز: Muslim explorer
- xxvii – سورة يوسف، الآية 83
- xxviii – الغلايني، الشيخ مصطفى، (2010م)، جامع الدروس العربية، 2، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ص: 322
- xxix – سورة الشرح، الآية 6
- xxx – سورة البقرة، الآية 245
- xxxi – سورة البينة، الآية 8

#### CITATION

Muhammad O. Ali, & Nasir B. (2024). The Qur'anic Intertextuality in the Poem "Elegy for the Departed Brother...by Judge Adam Othman. In Global Journal of Research in Education & Literature (Vol. 4, Number 6, pp. 9–15). <https://doi.org/10.5281/zenodo.14052214>